http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1708) السنة السابعة - الثلاثاء (26) كانون الثاني 2010

عندما تغيب الرقابة يمكن تزوير ختم رئاسة الجمهورية أو رئاسة الوزراء

هي الخيط الاول لأخطر وأدق الجرائم التي ترتكب في العراق، واحد ابرز مقوماتها وادواتها، في صلاحها يعم الحق والامان والنظام وفلتانها او غياب الرقابة عليها يعني اطلاق العنان لارتكاب جرائم النصب والاحتيال وحتى الارهاب، وهذا ماحصل عندما تم اجتثاث الجهة الوحيدة التي كانت تراقبها، وتمنحها اجازات العمل. وبقيت الفوضى وحدها ترسم خطوات عملها، انها الاختام تلك البصمة والرسمة التي لا يمكن لأية وثيقة رسمية ان تصدر وتستخدم ما لم تذيل إحدى طرفيها لتكون شاهداً على شرعيتها وقانونيتها، وهي الآن عرضة للتزوير بايدي محترفين تخصصوا فيها واكتسبت محالهم وبسطاتهم العلنية شهرة كبيرة فاقت شهرة كبار نجوم الفن والسياسة...!

أحياناً يكون أمن الوطن بيد صانع الأختام

تحقيق وتصوير- أفراح شوقي

الاختام السرية

مختصوها الاصليون اكدوا ان اهمال الاجراءات الرقابية عليها يعني خراب امن العراق ككل دون مبالغة وبدلائل ملموسة سنستعرضها في السطور القادمة، وانها مهنة خطيرة بسبب حساسيتها، لكنهم شكوا في تعطيل عملهم بعد صدور اجراءات جديدة من قبل استخبارات وزارة الداخلية الزمتهم بالامتناع عن عمل أي ختم حتى يتم اصدار الموافقات الخاصة بذلك، والموافقات لم تصدر بالرغم من مضي أكثر من شهر، رغم كونهم حاصلين على الشهادات الاصولية لممارسة العمل، في حين ان مزوري الاختام - وهم كثر- لا ينتظرون تلك الموافقات حتماً! وهم على استعداد لعمل أي ختم حتى لو كان لرئيس الوزراء او لرئيس الجمهورية خصوصا بعد دخول تقنيات الحاسوب المتطورة، كما قال لي ابو براء احد مختصي عمل الاختام في شارع المتنبي، والذي عرج في حديثه عن الموضوع بالقول: ان عملهم يحمل مخاطرة كبيرة لان المجرم يهرب ونقع نحن في المحظور! خاصة ونحن نعمل بلا حماية، حتى ان منتسبي الدوائر الاستخباراتية يلجأون الينا لاصدار اختام رسمية لهم وعندما نسألهم عن الموافقات يطلبون منا ان نعملها لهم على مسؤوليتهم؟ وهذا ليس من صالحنا حتماً كوننا لانتعامل الا بكتب رسمية نطلبها من الجهات المعنية، وتلك الجهات تمتنع فماذا نفعل؟

وغالباً مانسمع عن قصص كثيرة من حالات التزوير باستخدام الأختام المزورة لكنها تبقى دون علاج جذري لها.

اما ابو يسر صاحب محل الثقة للاختام في الباب الشرقي يقول: ان امن البلد في ايدي صانع الاختام، فمعظم الوثائق والشهادات والمعاملات لاتعطى لها الشرعية مالم تكن مختومة، ولكن غياب الرقابة جعلها مهنة لكل من هب ودب، وصارت الكثير من المكتبات تمارس تصنيع الاختام بالاستفادة من عدم وجود قانون رقابي عليها، وعن ما يطلبونه من مستمسكات اصولية لتصنيع الاختام لطالبيها قال: نطلب الشهادات والاوراق الرسمية بذلك مثلاً نطلب هوية نقابة الاطباء في حالة عمل ختم للطبيب او المحامي او غيره من المهن ونتأكد من الهويات بالطبع لاحتمال ان تكون مزورة هي الاخرى، سارعته بالسؤال وكيف تعرفون انها غير مزورة ايضا، اجاب: الخبرة والفراسة تجعلنا نعرف المزور منها، اما الاختام التي يطلبها الافراد من غير موظفي الدولة فغالباً مانطلب هوية الاحوال الشخصية او اجازة تاسيس الشركة او المحل وغيره، وهناك انواع عديدة من الاختام وبضمنها الاختام السرية،وغالبا ماتردنا طلبات لصنع اختام يصعب تزويرها.

×وهل تردكم طلبات غريبة من البعض لصنع اختام معينة؟

قال: اكيد هناك الكثير ممن يطلبون عمل اختام تشبه اختام معينة بقصد التزوير ويدفعون لنا مانطلبه من مال، لكننا كأصحاب محال معروفة نرفض ذلك كونها تضر بسمعة المحل،وهي بالتالي غش وحرام، ناهيك عن خطورتها، اتذكر ان احدهم طلب مني اصدار ختم يحمل اسم سقوف ثانوية فقط، فما كان مني الا ان طردته فوراً لاني اعرف انه ينوي التلاعب بالكلمات والاستفادة من ختم ثانوية لتزوير شهادة مدرسية! واخر طلب مني ان اصنع له ختماً برتبة مقدم رغم كونه يحمل رتبة ضابط في الجيش العراقي والسبب كما اخبرني ان القوات المحتلة تدفع مرتبات جيدة بحسب المراتب.

وواصل ابو يسر كلامه بالقول: بفضل الخبرة الطويلة في العمل صرت اعرف المحتال من النظرة الاولى! ومايجري في سوق مريدي الشهير اسهمت به اجهزة العمل بشكل كبير.وختم كلامه بأنه يتمنى عودة الرقابة إلى محال عمل الاختام وتعزيز الفرق الميدانية كما السابق للحد من المزورين.

سمعة الاختام توازي سمعة الفتاة!

حالياً لايزال الطلب على الاختام كبيراً. يقول أبو وسام (خبير في صنع الاختام): نحن لا نتعامل مع الدوائر الحكومية الا من خلال كتب رسمية تجيز صناعة الاختام لهم، والتعرف على هويات الاشخاص طالبي الختم وتسجيل بياناتها، لكن هناك معامل كثيرة صارت تمارس صنع الاختام المزورة، وهي تعمل في السر والعلن ايضاً، ولاتحمل أية موافقات على عملها، بعد ان الغيت الجهة الوحيدة التي تعنى بمنح اجازات عمل محال الاختام، وهي دار الحرية للطباعة، التابعة الى وزارة الاعلام المنحلة، وزاد من حدة كلامه ليقول محدثي: بالامس كنا نحصل على موافقة بفتح محال لصنع الاختام بعد جلب معلومات تؤكد حسن السلوك العام للشخص صاحب الاجازة ومعلومات وافية عنه بعد الحصول على موافقة دار الحرية للطباعة ووزارة الداخلية والامن العامة.اما الان وبسبب الاوضاع الفوضوية صار ابو الشربت يصنع الاختام!! وبسبب تلك الحالة صرنا نحرص على اختيار الشخص الامين للعمل في معاملنا حرصاً على عدم تزوير الاختام والتلاعب فيها لمصلحة ما، وعموما تجدين ان معامل ومحال الاختام الرسمية والقديمة غالباً ما تعمد الى توريث عملها الى ابنائها وتبقيها محصورة في العائلة حرصاً على اسمها التجاري، وعدم فسادها بالمزورين، ويقول محدثي صار معروفاً لدينا ان سمعة الاختام مثل سمعة الفتاة عندنا، عندما يشوبها الخطأ تفسد وتصبح غير صالحة،لذا نحرص على سمعتنا في السوق ونرفض التعامل مع كل من هب ودب لتزويده بختم مالم يكن حاصلاً على موافقات بذلك من دائرته الحكومية، وهو مايانف عنه بعضهم لغاية في نفسهم ويلجأون إلى المزورين ممن لايكون هدفهم سوى الربح فقط.

وأختام للدولارات المزيفة!

ونحن ندلف شارع المتنبي الشهير وسط بغداد طالعتنا محال عديدة تعنى بصنع الاختام والتي راحت تضيف تفاصيل جديدة لعملها بعد كساد سوق العمل كما يقول اصحابها مثل صنع الاطارات الملونة والمضيئة، والميداليات والكارتات الشخصية والخاصة بالافراح والمناسبات او عبارات الاقوال والحكم وغيرها، يقول السيد مناضل البصري صاحب احد محال الأختام مازال الكثير من أصحاب المتاجر والشركات يطلبون صنع اختام لهم كونهم لايتعاملون بالوصولات مالم تكن مختومة، وكذلك الختم الخاص بعملة الدولار بعد ان كثرت حالات تزويرها، وغالبا ما تعتمد الوحدات العسكرية في الجيش العراقي سابقا والدوائر الامنية حالياً على اختام تصنع في شعبة خاصة بالاختام لديها تدعى مطبعة الشرطة، ويواصل البصري كلامه ليقول:ان صاحب المصلحة والمتمرس وحده يعرف الختم المزور، وهناك انواع عديدة من الاختام منها المائي والفسفوري والحراري وغيرها. وزيارة سريعة الى الباب الشرقي او البتاويين وسوق مريدي الشهير يمكنكم ان تروا اشكال التزوير في الاختام. وفي السنوات الاخيرة صارت عملية صنع اوطبع ختم سهلة جدا لان المواد الاولية متوفرة وهناك من يعمل على اخذ النموذج المراد ومن ثم يلصق بحذر على شكل الختم المرغوب ان كان كبيراً او مربعاً او صغيراً ومن ثم يرفع الورقة النايلون ويكبس شكل الختم المطلوب.ويضحك ابو تبارك الذي كان حاضرا معنا في الحديث ليقول ان (سوق مريدي) اكتسب شهرة وخرج طلابا وأساتذة يفوق عددهم اولئك الذين خرجتهم الجامعات الرسمية أضافة ألى تخرج مسؤولين كبار ومديرين عامين يرتقون مناصب كبيرة في الدولة وهم يحملون شهادات مزورة، كما أن عملية تغير النظام ودخول الاحتلال وفر الفرصة الذهبية لسرقة كل الأختام ومستلزمات التزوير لكل وثيقة رسمية من الدولة وهذا ما سهل أنتشار ظاهرة التزوير وممارستها وكذلك انهيار المنظومة الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع وعدم انتباه الحكومات المتعاقبة لهذه الظاهرة وأتخاذ أية أجراءات للحد منها في الأقل من قبل الدولة العراقية ومؤسساتها الأمنية والعسكرية، وهي لم تتوقف عند مظهر معين من مظاهر الحياة في العراق او عند قطاع محدد في الدولة ومؤسساتها بل تعدى ذلك ليصل قطاعات واسعة في العقود النفطية وقطاعات الاستيراد والتجارة والتصدير والعملة ووثائق الملكية وصلاحية المواد والأدوية وعقود التدريب وغيرها.

شركة مصرفية في ساعة زمن!

وكان لابد لنا من زيارة احدى تلك المناطق، ووقع الاختيار على منطقة السعدون عندما ارشدنا احدهم الى احد مكاتب صنع الاختام هناك ويقع في عمارة متهالكة في غرفة صغيرة ورطبة يبدو ان مفردة النظافة قد غادرتها منذ سنوات طويلة، واستقبلنا رجل في الاربعين من العمر وسالنا عن غايتنا واخبرناه بأننا ننوي استخراج ختم كالذي نحمله معنا، وهو يحمل ختم شركة استثمارية ومصرفية خاصة، ولما شاهد الورقة التي نحملها وعدنا بصنع الختم المطلوب في غضون ساعة تقريباً، ولم يسألنا عن الموافقات او الشهادات او الثبوتيات التي نحملها مادمنا اتفقنا على دفع الاجور سلفاً!

الداخلية اوقفت عملنا

ابو علي صاحب اختام مهند في شارع المتنبي قال:لا يوجد من يتابع عملنا رغم ان مهنتها هي اخطر مهنة في العراق! نحن نعاني البطالة بسبب اجراءات وزارة الداخلية الاخيرة القاضية بمنع اصدار أي ختم الا بعد تزويد حامله بالموافقات الاصولية، ومضى اكثر من شهر ولم تصدر الدائرة اية موافقات اصولية والذين بقوا يعملون هم وحدهم مزورو الاختام في اسواق مريدي والميدان والباب الشرقي! انهم يعملون بلا اجازات او وجع راس.. واستدرك محدثي قائلا: ارجوك ان تسالهم متى سيمنحونا الاجازات، وهل سنضطر الى اغلاق محالنا وهي مصدر رزقنا الوحيد؟

برلماني: لست مع تشديد الرقابة كونها تقيد الحريات!

عضو في لجنة الثقافة والاعلام في البرلمان حميد معلة، سألناه عن رأيه بعدم وجود جهة رقابية على عمل محال صنع الاختام، فقال: الرقابة لدينا محصورة بكل ما يتعلق بالاعلام والسياحة والاثار، ولا ادري تحديداً أي جهة رقابية تعنى بذلك، مشيرا الى اهمية ان تكون هناك جهات رقابية مختصة لاجل الحد من عمليات التزوير، وايجاد معايير لحفظ حقوق الاخرين، ونوه الى ان الفسحة المتاحة من الحريات الان اخذت مدى واسعاً احتراماً لدولة الدستور لكن ذلك لايعني الاخلال بالنظام، فهذا موضوع حساس ولانفي وجود مشاكل كبيرة تعترضه، لكني لست مع زيادة الرقابة كونها تقيد حريات الآخرين!

ماذا يقول القانون العراقي حول الاختام

المحامي رعد محمد حسن قال: تزوير الاختام يقصد به استخدام المحررات غير الاصولية، كما تشير اليه مواد العقوبات العراقي حسب المواد ٢٨٨/٢٩٧من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩والاصل في التزوير جريمتان، الاولى تزوير المحرر والمقصود به من يقوم بفعل التزوير، والثانية هي جريمة استخدام هذا المحرر، وتكون العقوبة لمن قام بالتزوير ولمن يقدم تلك الشهادات المزورة الى السلطات لاجل الاستفادة منها، مع علمه انها محررات كاذبة،وقد حدد القضاء العراقي عقوبات رادعة بحق هؤلاء،وعليه لابد من ان يتحرى الشخص طالب المحررات القانونية من سلامة اوراقه الاصولية مغبة الوقوع في براثن التزوير،وختم كلامه بالقول ان قوة الدولة وسيطرتها على الكثير من مفاصل الحياة هي الوسيلة الناجحة للقضاء على التزوير.

صناديق من المحررات المزورة!

في زيارتنا الى احدى دوائر وزارة الداخلية/ مكتب المعلومات المركزي المعني باستحصال بطاقات السكن اطلعنا مديرها المسؤول بعد أن رفض الاعلان عن اسمه ان هناك الكثير من حالات التزوير في الاختام والتي ترد الدائرة، خصوصاً في مستمسكات المواطنين الثبوتية، وغالباً مايكون المواطن غير عارف بها، وبعضهم يعرف ويعمد الى الفرار من السلطات عندما يفتضح امره، ويضيف ان التزوير موجود قبلا وحالياً، وقليلاً ماينطلي علينا، بسبب الخبرة التي كسبناها في العمل، ونكشفه من خلال شكل الخط او التوقيع او ارقام التسلسل المثبتة لدينا، وفي حالة الشك بوجود محرر مزور نقوم بأصدار كتاب لجهة الاصدار نسال فيها عن صحة الصدور، واذا ثبت التزوير تأخذ الجهات القانونية دورها في الاقتصاص من المزور،والبطاقة التموينية هي من اكثر البطاقات التي تطولها أيادي المزورين وقد تنطلي على جهات لاتملك الخبرة او القابلية على كشف التزوير فيها لكنها عندما تصل الينا يكون من السهل اكتشاف التزوير فيها، وهناك حالات قليلة فقط هي التي لانستطيع تميزها عن الاصلية بسبب استخدام التزوير بشكل متقن.

من طرق التزوير

زيارة سريعة الى الباب الشرقي او البتاويين أو سوق مريدي الشهير يمكن ان نرى اشكال التزوير في الاختام. وفي السنوات الاخيرة صارت عملية صنع اوطبع ختم سهلة جدا لان المواد الاولية متوفرة وهناك من يعمل على اخذ النموذج المراد ومن ثم يلصق بحذر على شكل الختم المرغوب ان كان كبيراً او مربعاً او صغيراً ومن ثم يرفع الورقة النايلون ويكبس شكل الختم المطلوب.

المحررة مع عامل أختام

هناك معامل كثيرة صارت تمارس صنع الاختام المزورة، وهي تعمل في السر والعلن ايضاً، ولاتحمل أية موافقات على عملها، بعد ان الغيت الجهة الوحيدة التي تعنى بمنح اجازات عمل محال الاختام، وهي دار الحرية للطباعة، التابعة الى وزارة الاعلام المنحلة...

الأختام..لمحة تأريخية

اخترع الإنسان الختم في الألف الخامس ق.م، وصنعه اولاً من الحجر الطري والطين على أشكال منها المثلث، والهرم والفأس والريشة والمخروط والمنجل أو على شكل حيوان. وفي طرف الختم ثقب لتعليقه حلية أو تميمة بالمعصم أو العنق.وقد يكون الختم على شكل قرص، أو أسطوانياً، سطوحه مستوية أو محدبة، ومنقوشة.والأختام وجدت قبل الطباعة، وارتبطت بحياة الإنسان المدنية منذ الدولة السومرية والبابلية والاشورية، هكذا يقول السيد ابو وسام (٣٠) عاماً في المهنة ويزيد: ان للاختام الفضل الكبير في صناعة الطباعة التي لولاها لما عرفت حتى الان، وبالامس كنا نعمل الختم بطريقة عكسية كي يطبع بطريقة صحيحة، وبرغم تلك السنوات الطويلة والتطورات الحاصلة في صناعة الاختام والمواد الداخلة فيها الا اننا مازلنا نعمل على الأسلوب الطباعي ذاته في صناعتها. وفي البدء كانت الأختام صورية ثم تحولت الى احرف ورموز، واتذكر ان الحفر على النحاس كان الاساس في عمل الاختام، كونه متوفراً ورخيصاً، ويسمى (المهر) اي الختم، وكان يستخدمه في ثلاثينيات القرن المنصرم عدد قليل من التجار وشيوخ العشائر والولاة والمختارية وغيرهم، ثم دخلت المكننة الحديثة لتستعين بالخشب والبلاستك لخفتها.

الأختام القديمة

تقول المصادر التأريخية ان في العصر الحجري الحديث (٥٠٠٠-٣٠٠٠ق.م) استخدم الإنسان الختم تميمة لحماية نفسه، وعليها رسوم تدل على الصيد، والرعي، وأشكال هندسية ونباتية وحيوانية للتقرب من الآلهة. وأول من استعمله سكان بلاد الشام في الألف الثالث قبل الميلاد، وكانوا يختمون به الجرار وغيرها. وينقشون الأشكال معكوسة على سطح الختم فتظهر صحيحة بعد طبعها.اما الأختام في الحضارة العربية الإسلامية فتقول الابحاث ان الرسول العربي الكريم اتخذ خاتماً من ورق (فضة)، وكان نقشه (محمد رسول الله)،وفي العهد الأموي أمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان بترتيب الرسائل وتطيينها على سطحها وختمها، وصنعت الأختام الزجاجية ذات الوجه الواحد للمكاييل والأوزان. وأنشأ العباسيون (ديوان الخاتم) الذي يتبع ديوان الرسائل، وأصبحت الأختام مزينة بالأحجار الكريمة المنقوشة حلية للملوك والأمراء، وكانت تختم بها أوامر العفو والأمان. و يعبر نقشها أو رسمها عن (الملكية)، في الأثر الذي تطبعه عليه لدى استخدامها. ولكل ختم علامة تميزه من غيره، ويختلف باختلاف الأشخاص والمناطق. وهي عموما تعد نقلة حضارية، ومظهراً من مظاهر تطور الفن، وتساعد في رصد الأحداث التاريخية وتشخيصها، وهناك من الدول من استغنى عن الأختام تماماً لتحل محلها الرموز والأرقام السرية باستعمال الأشرطة المغنطة وأشعة الليزر وغيرها.